İbn Haldun Çalışmaları Dergisi / Journal of Ibn Haldun Studies
11 (Gazze Özel Sayısı) 2026, 123-143
Araştırma Makalesi / *Research Article* DOI: 10.36657/ihcd.2026.152

الثورات والمقاومة الفلسطينية خلال الوجود البريطاني في فلسطين (1922–1948)

Palestinian Revolts and Resistance During the British Presence in Palestine (1922–1948)

Mohammed T. M. Alqerem[1]*, Hanaa Mohamed Kamel Ayyash[2]
[1]*alqerem@gmail.com*, [2]*hnayash25@gmail.com*

Received: 22 July 2025 Accepted: 18 September 2025 Published: 26 January 2026

الملخص: تتناول الدراسة مقاومة الشعب الفلسطيني وثوراته ضد الوجود والعصابات البريطانية من عام 1922 وحتى 1948 والتي جاءت إلى فلسطين لتنفذ مخططاتها بهدف إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. فلم يقف الثائر الفلسطيني مكتوف الأيادي في وجه بريطانيا والعصابات النازية الصهيونية، بل ناضل وجاهد وقاومهم بكل الوسائل، وعانى الفلسطيني الخذلان دون أن يرى من يغيثه ويمده بالسلاح، حتى جاء يوم النكبة الدامي وتسلم اليهود الصهاينة من عصابات بريطانيا وطناً جديداً لهم على طبق من ذهب باسم إسرائيل.

الكلمات المفتاحية: المقاومة، الثورات، الانتداب البريطاني، فلسطين، الثورة العربية الكبرى (1936–1939)، عزّ الدين القسّام

Abstract: *This study examines the resistance and uprisings of the Palestinian people against the British presence and the Zionist gangs from 1922 to 1948. These forces came to Palestine with the aim of implementing their plans to establish a national homeland for the Jews. The Palestinian rebel did not remain passive in the face of Britain and the Zionist-Nazi-like gangs; rather, he struggled, fought, and resisted them by all means. The Palestinians suffered betrayal and abandonment, receiving no aid or arms. Eventually, the tragic day of the Nakba came, and the Zionist Jews, with the support of British forces, were handed a new homeland-named Israel-on a silver platter.*

Keywords*: Resistance, Revolts, British Mandate, Palestine, 1936-1939 Arab Revolt, Izz al-Din al-Qassam*

*Corresponding Author: Mohammed T. M. Alqerem, alqerem@gmail.com
ORC-ID: M. T. M. Alqerem 0009-0006-7336-6216, H. M. K. Ayyash 0009-0005-7481-3666

1. المقدمة

شهدت فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني اضطرابات وإضرابات بدأت سلمية شعبية سياسية على أمل أن تحقق مطالب شعب أعزل يريد العيش بكرامة دون قيود يفرضها عليه أعداء الأمة، إلى أن يئس الفلسطينيون ونفد صبرهم من كل المحاولات التي قاموا بها، وبدأوا مراحلهم الجديدة في الكفاح والنضال الفلسطيني والمقاومة العنيفة المسلحة في سبيل الدفاع عن المقدسات ونيل حريته؛ ولعلني في دراستي هذه أستطيع أن أوجز تطور المقاومة الفلسطينية فترة الانتداب البريطاني على فلسطين في ظل استمرار تعسف وظلم حكومة بريطانيا، وكما قال جان بول سارتر: أينما حل الظلم، فنحن الكُتاب مسؤولون عنه (موسى، 2012).

2. مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تكمن مشكلة الدراسة في تبيان سير الثورات والمقاومة الفلسطينية خلال الوجود البريطاني في فلسطين (من عام 1922م وحتى عام 1948م). أما التساؤلات فهي:

- ما تطور المقاومة الفلسطينية خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين؟
- ما النواة الأولى لحركة المقاومة والجهاد؟
- ما الفترات التي كانت فيها المقاومة سلمية أو مسلحة؟
- ما تفسير الأحداث التي أدت إلى نمو وتطور المقاومة؟

3. أهمية الدراسة

ندرةُ الدراساتِ التي تناولت موضوعَ هذه الدراسة تُبرز أهميتها العلمية. كما تسعى إلى بيانِ الدوافعِ التي أدّت إلى تطوّرِ المقاومةِ الفلسطينية. وتعمل كذلك على إظهارِ درجةِ اهتمامِ الفلسطينيين بالدفاع عن وطنهم، من خلال ما أبدَوه من ثباتٍ واستبسالٍ في سبيله.

4. أهداف الدراسة

- بيان تطور المقاومة الفلسطينية خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين.
- الكشف عن النواة الأولى لحركة المقاومة والجهاد وبداياتها.
- تحديد الفترات التي كانت فيها المقاومة سلمية أو مسلحة.
- تفسير الأحداث التي أدت إلى نمو وتطور المقاومة.

الحد الزماني: 1922م وحتى 1948م.

الحد المكاني: فلسطين المحتلة.

4.1. انطلاق المقاومة في فلسطين

يُعَدّ أواخرُ القرن التاسع عشر وبداياتُ القرن العشرين بدايةً حقيقيةً لنشأة وتطور المقاومة الفلسطينية والقائمة على الاحتجاجات العفوية، والتي بدأت مع ظهور نوايا وخبث بريطانيا في التمهيد من أجل إهدار حق الفلسطينيين وإقامة الوطن لبني صهيون (شلهوب، 2024).

وكان لإعلان وعد بلفور عام 1917م الذي جعل من فلسطين وطناً قومياً لليهود (الشورة، 2009). وإضراراً بمصالح الفلسطينيين وحقوقهم (صالح، 2002)، وقرار سان ريمو عام 1920م والذي قسم مناطق النفوذ كل من بريطانيا وفرنسا الأثر الكبير في بداية الاحتجاجات الفلسطينية وأولى بوادر التمرد، كان أولها اشتباكات بين القبائل العربية والحرس البريطاني على طول الحدود التي تفصل فلسطين عن سوريا (الكيالي، 1985).

ونتيجة لغدر وخيانة بريطانيا وعدم وفائها بوعدها في مراسلات الحسين ومكماهون باستقلال فلسطين (قمصية، 2011)، وإقرار وعد بلفور دون أخذ رأي ومشورة الحسين (سعيد، بلا)، بدأ الشعب الفلسطيني أوائل عام 1919م يتطلع إلى الدفاع عن ذاته، فنشأت الحركة الوطنية الفلسطينية وشُكلت الجمعية الإسلامية المسيحية التي تمثل الفلسطينيين، وبرزت كتلة من الشباب اعتبرت النواة الأولى في الكفاح الفلسطيني ومنهم أمين الحسيني، وكونت الحركة الوطنية تنظيمات سياسية لعقد المؤتمرات من أجل قضية فلسطين، وفي سنة 1920م تمثلت الحركة الوطنية الفلسطينية باللجنة التنفيذية ورئيسها موسى كاظم الحسيني (جرار، بلا).

5. المقاومة السلمية في فلسطين

بدأ الفلسطينيون في 27 فبراير 1920م بالتحرك ضد قرارات بريطانيا، وقامت أول مظاهرة سياسية اشترك فيها 40 ألف شخص احتجاجا على بريطانيا لجعلها فلسطين وطناً قومياً لليهود (السفري، 1937).

5.1. ثورة النبي موسى 1920م

إبريل 1920م حدثت اضطرابات وتظاهرات عنيفة عند مقام النبي موسى نادى فيها الفلسطينيون بالاستقلال وإيقاف هجرة اليهود، مما أدى إلى اصطدامهم باليهود والشرطة البريطانية (زعيتر، 1955)، وأضربت المدينة وأغلقت الأبواب، وأسفرت الإضرابات عن 9 قتلى يهود، و4 من العرب، ولم تهدأ الثورة حتى أفرجت الحكومة البريطانية عن سراح الموقفين

بكفالة (السفري، 1937)، ومنعت السلطات البريطانية عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني (جرار، بلا)، وفي ديسمبر عقد المؤتمر الثالث وقرر المطالبة بحكومة فلسطينية مستقلة (ياغي، 1983).

وفي مارس 1921م ومع زيارة وزير المستعمرات تشرشل إلى فلسطين احتشد الشعب هاتفين يسقط بلفور، ولا نريد اليهود، فحُظرت المظاهرات في حيفا إلا أن المتظاهرون اصطدموا بالشرطة، وقتل صبي مسيحي ورجل مسلم وأصيب عشرة يهود ورجال من الشرطة بجروح نتيجة ضربهم من قبل الفلسطينيين بالعصي والحجارة (الكيالي، 1985)، وقامت مظاهرات في كل أنحاء فلسطين احتجاجا على هذه الزيارة (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، التي اعتبرها الفلسطينيون تحدياً لهم وتصميم من بريطانيا على مواصلتها سياستها ضد الفلسطينيين من أجل خدمة اليهود وتأمين الوطن القومي لهم على أرض فلسطين (الغوري، 1955).

5.2. ثورة يافا 1921م

في الأول من مايو1921م اندلعت ثورة جديدة في يافا دامت خمسة عشر يوماً (زعيتر، 1937)، إثر اصطدام تظاهرة صهيونية بأخرى شيوعية طالبت بإطاحة نظام الحكم البريطاني، فحاولت الشرطة تفريق شمل الشيوعيين بعد أن لجأوا إلى حي المنشية الذي يسكنه العرب المسلمون في يافا، فثار العرب، وقامت تظاهرات وتواصلت الإضرابات والقتل في كلا الطرفين، وهوجمت المستوطنات (الكيالي، 1985)، وأسفرت الثورة عن مقتل 50 يهودي وجرح 150 يهودي، و50 عربي وجرح 75 عربي (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا، 55)، في حين شهد شهر يونيو الهدوء والمسالمة رغم قلق الفلسطينيين (الكيالي، 1985).

في يونيو 1921م عقدت الحركة الوطنية المؤتمر الفلسطيني الرابع، وتواصلت مع الحكومة البريطانية بلندن وأكدت مطالب الفلسطينيين والإصرار على مقاومة الصهيونية (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).وفي أغسطس 1921م أرسلت القيادة الفلسطينية الوفد الأول إلى بريطانيا لشرح وجهة نظر الفلسطينيين ورفض الشعب لوعد بلفور، وللمطالبة بوقف الهجرة والاستيلاء على الأراضي، ولكن دون فائدة (أبو غربية،1993)، ومع إصدار بريطانيا الكتاب الأبيض والذي أكدت فيه على ضرورة تنفيذ وعد بلفور، إلا أن الفلسطينيين رفضوا الكتاب الأبيض ورفضوا سلطة الانتداب البريطاني (ياغي،1983).

في سبتمبر 1921م عقدت اجتماعات سرية في الخليل والرملة وطولكرم لاتخاذ إجراءات ضرورية بشأن هجرة اليهود إلى فلسطين، وإلغاء تصريح وعد بلفور، من خلال القيام بسلسلة غارات على اليهود في فلسطين (الكيالي، 1985)، وحدثت إضرابات في القدس احتجاجا على وعد بلفور نجم عنها قتل 5 يهود وعربي واحد وجرح 23 من اليهود و6 من العرب

(السفري، 1937). وفي أكتوبر 1921م وزعت اللجنة الفلسطينية بمصر منشوراً دعت فيه الفلسطينيون إلى الامتناع عن العمل وإغلاق المتاجر وإعلان الحداد بذكرى بلفور (الكيالي، 1985).

في أوائل عام 1922م قدمت الجمعيات الإسلامية المسيحية احتجاجات على هجرة اليهود وتهريب السلاح لهم (الكيالي، 1985). 22 أغسطس 1922م وبسبب توتر الأوضاع قرر الوفد الفلسطيني في مؤتمره الخامس مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي (زعيتر، 1955)، ورفض الدستور المقترح من الحكومة البريطانية (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

11 سبتمبر 1922م ونتيجة لحالة الفوران الفلسطيني أرادت بريطانيا أن تسيطر على زمام الأمور، فقررت عصبة الأمم تطبيق الانتداب على فلسطين (المنير، 1997). ولقد ساد فلسطين من عام 1923م إلى 1928م الركود وتوقف التظاهرات والاضطرابات باستثناء بعض الأحداث والتي منها: إعلان الإضراب العام في مارس 1925م وإغلاق المدارس والمتاجر (الكيالي، 1985)؛ بسبب زيارة اللورد بلفور صاحب الوعد المشؤوم للقدس للمشاركة في تأسيس الجامعة العبرية (أبو غربية، 1933).

يمكن القول بأن الهدوء الذي ساد فلسطين هذه الفترة يرجع لأسباب، وهي؛ الخلافات والنزاعات بين الأحزاب الوطنية والقيادات السياسية والاختلاف في الآراء والقرارات الوطنية؛ والصراعات التي دارت بين آل الحسيني وآل النشاشيبي فأضعف من بنية الحركة الوطنية، وظهور أحزاب سياسية معارضة للجنة التنفيذية كالحزب الوطني برئاسة سليمان الفاروقي المعارض الذي يعمل لصالح بريطانيا (دواس، 2014)، وحزب الزراع، وحزب الأهالي برئاسة عبد اللطيف صلاح (ياغي، 1983)، فهذه الخلافات التي كانت بين قيادات الشعب والأحزاب، وعدم وجود وحدة صف وكلمة في التجهيز والإعداد لمواجهات أخرى مع الأعداء، كان لها بالغ الأثر في توقف المقاومة والثورات والهدوء لبضع سنوات.

في يونيو 1927م عقدت اللجنة التنفيذية المؤتمر السابع بصعوبة بالغة بسبب الخلافات والعصبية الموجودة التي كانت موجودة بين القيادات السياسية والوطنيين، حيث حضره المناضلون المجاهدون والمنافقون، واعتبر المؤتمر السابع من أسوء المؤتمرات الفلسطينية، إلى أن جاءت نهاية عام 1928م وأخذت فترة الركود والهدوء السياسي تشرف على نهايتها (الكيالي، 1985).

بداية نوفمبر 1928م عُقد المؤتمر الإسلامي في القدس، وتم اختيار أمين الحسيني رئيساً للمؤتمر، وانتخب وفداً من اثني عشر عضواً لمقابلة المندوب السامي لمطالبة الحكومة البريطانية بحفظ حقوق المسلمين في البراق (جرار، بلا، 39)، وألف أمين الحسيني جمعية حراس المسجد الأقصى يرأسها حسن أبو السعود، وأصبحت تعقد الاجتماعات وتندد بمطامع اليهود، وتنبه المسلمين وتحمسهم وتوعيهم بمدى خطورة المساس بالمقدسات (دروزة، 1993).

5.3. ثورة البراق 1929م

تعد من أوسع الاضطرابات التي وقعت في فلسطين منذ الانتداب البريطاني (أبو غربية، 1933)، بسبب زيادة هجرة اليهود في عام 1928م و1929م ضعف العدد الذي جاء عام 1927م إلى فلسطين (شبيب، 1980)، إضافة إلى مقدمات ونتائج أخرى، منها؛ التصريحات المتكررة عن أطماع اليهود في البراق وفي الحرم القدسي ووجوب أخذه بأي وسيلة، وفي سبتمبر 1928م جاءوا في عيد الغفران في جماعات كبيرة إلى حد الجدار وملؤه، وأحضروا معهم كراسي وستائر لفصل النساء عن الرجال، وكتب، وأثاروا ضجة صاخبة (دروزة، 1993)، معنى ذلك أن اليهود يخططون لتحويل الحائط من ممتلكات المسلمين المقدسة إلى كنيس يهودي (جرار، بلا)، والاستيلاء عليه بالقوة (الغوري، 1972)، فكانت ردة فعل الفلسطينيين على ذلك أن تحرك الحاج أمين الحسيني ومعه الجماعات الإسلامية فقامت مظاهرة إسلامية كبيرة (دروزة، 1993)، وعمت فلسطين موجة من الغضب بعد أن علموا نية اليهود في الاستيلاء على المسجد الأقصى تدريجياً زاعمين أنه الهيكل مبتدئين بحائط البراق (زعيتر، 1955).

في 11 أغسطس 1929م عقد الصهاينة مؤتمر بزوريخ في سويسرا (جرار، بلا)، وتطرق إلى جدار المبكى وقرر حق اليهود فيه وفي ممارسة طقوسهم بشكل كامل وواسع، مما زاد من غضب وثوران الفلسطينيين (دروزة، 1993). وفي 23 أغسطس 1929م جاء اليهود بالآلاف إلى الجدار، فخرج المصلون في مظاهرات عارمة، ووقعت بين العرب واليهود اشتباكات دموية في أماكن عديدة في القدس، وانتشرت أخبار الاشتباكات في كل أنحاء فلسطين فقامت مظاهرات في نابلس وحيفا ويافا، وتبعهم أهل الخليل فهجموا عليهم بالسيوف والخناجر والعصي (دروزة، 1993) وأُعلن رسمياً مصرع ستين يهودياً وجرح خمسين أخرين (أبو بصير، 1968). في 25 أغسطس 1929م قام الثوار بالهجوم على مستعمرات اليهود في مرج ابن عامر، ودمروا ست مستوطنات واستمروا في معاركهم العنيفة حولها (جرار، بلا). في 29 أغسطس 1929م بلغت الاضطرابات ذروتها في صفد حين هاجم الفلسطينيون اليهود ووقع خمسين يهودياً بين قتيل وجريح (زعيتر، 1955)، وتدخلت السلطات البريطانية بعنف حتى تمكنت من حجز اليهود والعرب عن بعضهم وتوقيف الاشتباكات (دروزة، 1993).

بعد أن هدأت الأوضاع في صفد خرجت مجموعة من شباب صفد إلى الجبال وشكلوا جماعة مجاهدة لمقاومة الإنكليز واليهود، فيما أخذت السلطات البريطانية تبحث عن هؤلاء المجاهدين فقبضت على اثنين واختفى الباقي (جرار، بلا). ثم عادت وتكررت المظاهرات في نابلس، وحاول المتظاهرون الهجوم على القشلة والاستيلاء على سلاح الشرطة، والذهاب إلى القدس ونجدة أهلها، لأن اليهود كانوا كثرة كبيرة، وقام المتظاهرون برجم سيارة الحاكم الإنكليزي مللر وحطموها، وجرحوا مهندساً إنكليزياً كان معه في السيارة (دروزة، 1993).

وعلى الرغم من تسليح بريطانيا لليهود إلا أن العرب العُزل استطاعوا الإيقاع بالعدو ومهاجمة المواصلات والطرق (أبو بصير، 1968). واستمرت الثورة خمسة عشر يوماً، قتل وجرح خلالها 472 يهودياً، وكانت ضحايا العرب 338 بين جريح وقتيل (السفري، 1937)، إلى أن انتهت الثورة وتوقفت. وفي أكتوبر 1929م عُقد في القدس ولأول مرة مؤتمر إسلامي نسائي يؤيد المطالب الوطنية الفلسطينية ويرفض الانتداب البريطاني على فلسطين (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

5.4. ثورة الكف الأخضر 1929م

وعلى أثر أحداث البراق شُكلت في نوفمبر عام 1929م جماعة مسلحة لمحاربة اليهود ونظام الانتداب البريطاني عرفت باسم الكف الأخضر، وتألفت من 27 مجاهداً اشتركوا علنياً بثورة البراق، بقيادة أحمد طافش (الكيالي، 1985)، وقامت هذه الجماعة بعمليات هجوم في صفد كانت أولها الهجوم على الحي اليهودي (صالح، 1996). 16 يونيو 1930م أضربت فلسطين وعمت المظاهرات أنحاء القرى والمدن بعد إعدام المجاهدين الثلاثة فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم، شاركوا في ثورة البراق (أبو غربية،1933)، وكانوا قد أبلوا بلاءً حسناً في الثورة واعتبروا رموزاً للجهاد والمقاومة الفلسطينية (جمعة، 2009). فالمقاومة السلمية هي مقاومة طويلة وشاقة تنبع من إرادة الإنسان الفطرية في العيش بحرية وكرامة ضد أي احتلال وأي ظلم كالظلم البريطاني للفلسطينيين (عودة، 1987).

ويرى الباحثان أن مرحلة العشرينيات هي مرحلة المقاومة غير العنيفة والكفاح الشعبي والنضال السياسي ضد وعد بلفور وقيام دولة اليهود في فلسطين، وقد كانت شرارة الثورات والتظاهرات والصدامات في هذه الفترة تدور حول المقدسات الإسلامية في فلسطين.

6. المقاومة المسلحة في فلسطين

في عام 1931م قامت مظاهرات في فلسطين تدعو إلى التسليح وإلى توجيه الثورة ضد الإنجليز (أبو بصير،1986)؛ بسبب تراجع الحكومة البريطانية عن كتابها الأبيض وإعلانها الاستمرار في هجرة اليهود إلى فلسطين والاستيلاء على الأراضي، وأخذ الفلاحون يقومون بحركة كفاح مسلح الذين هم من أكثر الفئات التي أصابها الضرر، فبعد أن طُرد الفلاحون الفلسطينيون من الأراضي التي كانوا يزرعونها في مرج ابن عامر بعدما اشتراها اليهود من مالكيها واستلموها ظهر العمال اليهود ليزاحموا العمال الفلسطينيين مكانهم و أعمالهم الزراعية والصناعية، فقرروا تشكيل خلايا تجاهد ضد الإنجليز واليهود والسماسرة وباعة الأراضي والجواسيس، وقد تعاهدوا على السرية التامة، ووفروا من أقواتهم ليشتروا ما يلزمهم من سلاح وعتاد، وأخذوا يقومون ببعض الأعمال الكفاحية مثل غزوات خاطفة على المستعمرات، وترصد ومراقبة بعض الجواسيس والسماسرة وضباط وأفراد الشرطة وضربهم، ومن هذه الخلايا انبثقت حركة الشهيد القسام، ومجاهدون أبلوا بلاءً عظيمًا في الثورة العربية الكبرى 1936م، والكفاح المسلح ضد التقسيم من عام 1947م وحتى 1948م (دروزة، 1993).

في 3 أغسطس 1931م عُقد مؤتمر في مدينة نابلس عبر فيه الفلسطينيون عن رفضهم تسليح اليهود، وكانت قد دعت اللجنة التنفيذية إلى الإضراب العام في 23 أغسطس 1931م، وفي 1 ديسمبر 1931م عُقد المؤتمر الإسلامي في القدس الذي أيد قضية فلسطين وعزم على الدفاع عن البراق، ورفض سياسة بريطانيا في فلسطين (زعيتر، 1955)، وتشكيل لجنة إسلامية لإنقاذ الأراضي، وإنشاء جامعة إسلامية في القدس (شبيب، 1980).

وفي عام 1932م تم تأسيس حزب الاستقلال، فعقد أعضاؤه مؤتمراً في يافا لبحث الطرق والوسائل الكفيلة بتجنيد وتسليح الشباب الفلسطيني، وعقدت مؤتمرات أخرى خاصة بشأن الضرائب والاحتجاج ضد السياسة الضريبية للحكومة البريطانية (الكيالي، 1985)، ومؤتمرات تحث على نهضة فلسطين سياسياً واقتصاديا، وإلغاء تصريح وعد بلفور، وإقامة حكم برلماني في فلسطين (دواس، 2014).

أوائل أيلول 1932م وصل عدد المهاجرين إلى فلسطين من اليهود إلى ما يقرب 180 ألف يهودي (عبد الغني، 1995)، ونتيجة لهذه الزيادة قررت اللجنة التنفيذية القيام بمظاهرات في القدس دون إذن السلطات البريطانية، وفي نوفمبر قررت اللجنة القيام بمظاهرة أخرى تحدياً لأوامر المندوب السامي (الكيالي، 1985).

26 مارس 1933م عُقد المؤتمر الوطني الكبير في يافا (ياغي، 1983)، وحضره ألف شخص من مختلف المدن الفلسطينية بما فيهم أعضاء اللجنة التنفيذية، وتبنى المؤتمر برنامج الجهاد ضد حكومة الانتداب على عدم التعاون مع السلطات البريطانية (أبو غربية، 1933)، والعصيان المدني ومعارضة أي قوانين تفرضها الحكومة والسعي وراء إلغائها، ودخول المقاومة في مواجهة مفتوحة مع السلطة (خلف، 1988).

في 8 أكتوبر 1933م عقدت اللجنة التنفيذية اجتماع برئاسة موسى الحسيني، وتبنت أفكار مؤتمر الشباب، ووضعت برنامج يقوم على أساس القيام بسلسلة من المظاهرات والإضرابات، يصاحبها سلسلة من الاجتماعات والمؤتمرات في جميع المدن الفلسطينية من أجل توعية الشعب الفلسطيني بواجباته (أبو غربية، 1933).

6.1. انتفاضة 1933م

وفي 13 أكتوبر عام 1933م أعلن الفلسطينيون الإضراب في جميع أنحاء فلسطين وخرجوا في مظاهرات باتجاه المسجد الأقصى بقيادة كاظم الحسيني وأعضاء اللجنة التنفيذية والعلماء (صالح، 1996)، وقاطعوا اللجان الرسمية والبضائع الإنجليزية والصهيونية، وازداد الأمر سوءاً بعد الإعلان عن هجرة عشرة ألاف يهودي إلى فلسطين، وأُعلنت المظاهرات وخرجت المدن من القدس والخليل وحيفا وكل مدن فلسطين متجهة إلى يافا، وأمام الجامع الكبير بيافا وقع اصطدام مع الجيش البريطاني بعد

مطالبة الفلسطينيين بسقوط بريطانيا (أبو بصير، 1968)، واحتشد أكثر من سبعة ألاف متظاهر غاضب مسلحين بالعصي والهراوات (الكيالي، 1985).

وفي 29 أكتوبر 1933م أطلق الفلسطينيون القنابل اليدوية على أفراد الشرطة البريطاني لاعتقالهم زعماء وقادة فلسطينيين، وأعلن الفلسطينيون في يافا الإضراب العام بسبب أفعال حكومة بريطانيا وجيشها (أبو بصير، 1968)، وقمعت السلطات البريطانية الانتفاضة إلا أن فلسطين كانت تغلي وتتفجر في قلوب ثوارها (جرار، بلا)، إلى أن تجددت المظاهرات في يناير 1934م (ياغي، 1983). وفي هذه الفترة أخذ الفلسطينيون يبحثون بسرية تامة عن السلاح مهما كانت جودته ومفعوله من خارج فلسطين، إلا أن مخابرات بريطانيا منعت وصوله للثوار، وواصل الفلسطينيون البحث عن السلاح رغم قلته وندرته من هنا وهناك (أبو بصير، 1968).

في 1 ديسمبر 1934م قدمت اللجنة المركزية مذكرة إلى المندوب السامي، فيها احتجاج على الاستيلاء على الأراضي، وزيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين على أمل أن يجدوا أذان صاغية إلا أن كل مذكراتهم ولقاءاتهم ذهبت أدراج الرياح (جرار، بلا).

2 ديسمبر 1934م تأسس حزب الدفاع الوطني برئاسة راغب النشاشيبي المعروف بمواقفه المعتدلة مع بريطانيا، ومعارضته للجنة التنفيذية والمجلس لإسلامي (ياغي، 1983)، والذي دفع النشاشيبي لتأسيس هذا الحزب هو إعادة الثقة بين الشعب والقيادة، وضعف الحركة الوطنية، واضطرابات ومظاهرات عام 1933م (دواس، 2014).

في يناير 1935م قامت معركة بين الفلاحين الفلسطينيين و43 من الشرطة البريطاني لاستمرارهم في سلب الفلاحين أراضيهم واستيلائهم عليها، فقتل فلسطيني وأُصيب سبعة من أفراد الشرطة البريطاني (الكيالي، 1985). 25 يناير 1935م عُقد مؤتمر علماء فلسطين الأول وحضره القضاة والأئمة والمفتين والعلماء بهدف إصدار فتوى تحرم بيع الأرض لليهود، واستمرت نشاطات إنقاذ الأراضي إلى أن تطورت الأحداث باندلاع ثورة عام 1935م وثورة 1936م، وقيام قادة الثورات بقتل سماسرة الأراضي بعد تحذيرهم من عملهم من نقل الأراضي لليهود (جرار، بلا).

وفي نفس العام أُسست الأحزاب السياسية كحزب الإصلاح، والحزب العربي الفلسطيني، وحزب الكتلة الوطنية (ياغي، 1983)، إذ دعت هذه الأحزاب إلى الاستقلال ومقاومة السلطات البريطانية (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

6.2. ثورة القسام 1935م

أخذت المقاومة تأخذ شكلها المسلح الحقيقي بظهور الشيخ عز الدين القسام المولود في سوريا عام 1871م (ياسين، بلا)، والذي اشترك في حركة الكفاح السوري في جبال اللاذقية والتي يقال لها جبال العلويين والنصيرية ضد الفرنسيين، وكان القسام ذا علم وحماس ديني ونزعة عربية استقلالية وروح ثورية (دروزة، 1993). مكث القسام عند قدومه إلى فلسطين في مدينة حيفا لموقعها الممتاز الذي ساعده على نشر دعوته ونجاح عمله الجهادي ضد الجيش البريطاني دون معيقات في المدن الفلسطينية الأخرى (حمودة، 1986).

بدأ الشيخ القسام يُعد نفسه للثورة منذ عام 1922م وخاصة بعد زيادة هجرة اليهود إلى فلسطين وتحذيره الناس بالخطر الصهيوني واستمرار الهجرة إلى فلسطين، وفي عام 1925م اختار رفاقه وأعضاء حركته بعد اختبار ومراقبة وامتحان طويل لمن يقع عليه الاختيار (جرار، بلا)، ومن ثم قام بتهيئتهم ونصحهم بايات من القرآن الكريم (حمودة، 1935).

من عام 1931م و1932م كانت أولى عمليات القسام في كمين محكم أعده لمجموعة يهود فقتل ثلاثة منهم دون أن تعرف السلطات البريطانية الفاعلين، وفي عام 1932م قاموا بعمليات أخرى بقتل جنود في المستعمرات، ومنها مستعمرة نهلال التي تعتبر رمزاً كبيراً من رموز الصهيونية، وإلقاء قنبلة على منزل يوسف يعقوبي تسببت بمقتله هو وابنه، فثار اليهود بهذه العمليات التي لم يعرف فاعليها (جرار، بلا).

وفي أوائل 1935م بدأت أعمال القسام ورفاقه البطولية في كل من جنين ونابلس وطولكرم من اغتيالات للضباط الإنجليز ونسف للقطارات، ومهاجمة معسكرات الجيش البريطاني وكانت هذه الأعمال تتم بدقة وتنظيم وسرية تامة، إلى أن أعلن القسام وبكل قوة عن معاداته لسلطة الانتداب البريطاني وعزمه على مقاتلة الجنود البريطانيين في سبيل تحرير فلسطين (أبو بصير، 1968). في 16 أكتوبر 1935م اكتشف القسام عملية تهريب أسلحة حديثة ضخمة إلى اليهود، وبذلك أجمعت المصادر التاريخية على أن عملية تهريب الأسلحة هي السبب المباشر والأول في قيام ثورة القسام (جرار، بلا).

في 2 نوفمبر 1935م عقد اجتماع شعبي في نابلس بذكرى تصريح وعد بلفور، تمت الدعوة فيه إلى عداء بريطانيا، والدعوة إلى تسليح الفلسطينيين (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، وأعلن الشيخ عز الدين القسام عن تشكيل مجموعة الكف الأسود (قمصية، 2011)، وفي نفس اليوم والشهر أعُلنت الثورة المسلحة ضد الاستعمار والصهيونية (أبو غربية، 1933).

في 12 نوفمبر1935م عقد القسام أخر اجتماع في حيفا بعد أن شعر بمدى خطورة هجرة اليهود إلى فلسطين وتسلحهم بمساعدة السلطات البريطانية، وتقرر البدء في الثورة وانتقال عشرات من إخوان القسام المدربين عسكرياً إلى جنين، ودعى

الشعب للاشتراك في الثورة (ياسين، بلا)، وقام بتنظيم تشكيلات سرية (أبو بصير، 1968)، أو مجموعات سرية صغيرة لا تزيد عن خمسة أنفار، وقسم إخوانه إلى وحدات عسكرية منظمة كل وحدة ولها عملها، ومنها؛ وحدة خاصة بشراء السلاح، ووحدة تدريب عسكري، ووحدة ثالثة للتجسس على اليهود والإنكليز ومعرفة خططهم السرية (ياسين، بلا).

وجمع دروزة في مذكراته أحداث معركة القسام فقال: (إن القسام خرج على رأس فريق منهم إلى أحراش يعبد استعدادا للعمل الجهادي العلني في نوفمبر عام 1935م، وكان عدد الذين خرجوا معه إحدى عشر مجاهداً، وعندما علمت السلطات البريطانية بتحركات القسام الخطيرة سارعت إلى قمعها قبل اتساع نطاقها وبروزها إلى ميدان الجهاد، فأرسلت قوة من عرب وإنجليز وحاصرت المكان ثم أنذرت جماعة القسام بالاستسلام وتسليم السلاح، إلا أن جماعة القسام أصرت على الدخول في المعركة مع الإنكليز على الرغم من أنهم لم يكونوا على استعداد للمواجهة، وتبادل الطرفان النار واستشهد القسام واثنين من رفاقه، وجرح اثنان واعتقل البقية الأحياء في 20-11-1935م) (دروزة، 1993)، وهب الشعب السوري للمطالبة في حقه وبدأت الإضرابات والمظاهرات في سوريا واشتدت وامتدت إلى كل فلسطين (أبو غربية، 1933).

في 24 يناير1936م كانت الدعوة إلى تنظيم المقاومة، وفي 4 فبراير 1936م كان في فلسطين أول إضراب انتصارا لسوريا المجاهدة وأضربت العديد من المدن الفلسطينية ومنها طولكرم (زعيتر، 1955)، وكان لرحيل الشيخ القسام أثر كبير في تقوية عزائم الفلسطينيين رغم قلة السلاح وجدد في النفوس معنى التضحية والاعتزاز بالجهاد والبطولة (أبو بصير، 1968).

وتم تشيع جثمان القسام بتظاهرة وطنية كبيرة في حيفا ونادوا بسقوط بريطانيا ورشقوا أفراد الشرطة بالحجارة وتأثر الفلسطينيون مما تركه القسام من أثر عميق في النفوس (الكيالي، 1985)، بعد أن خاض معركة عظيمة مع الجنود البريطانيين، وكتبت صحيفة الأوبزيرفر من لندن مقال، قالت فيه: إن جهاد العرب الحقيقي في سبيل التحرير بدأ بقيام ثورة القسام (جرار، بلا).

وجمع أبو غربية في مذكراته قوله: ((في هذه الفترة بدأت حياتي النضالية المسلحة تتطور أنا وعدد من رفاقي الثوار، فمنذ 1934م شكلنا في القدس مجموعة ثورية مسلحة، وجاء استشهاد القسام ليحفزنا على الإقدام والتحرك وأن نتخذ منه قدوة لنا) (أبو غربية، 1933).

ويمكن القول بأن ثورة القسام هي الشرارة الأولى (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، والحافز الأول للثورة العربية الفلسطينية الكبرى من عام 1936 إلى 1939م (ياسين، بلا)، وبداية المقاومة العلنية المسلحة التي تمسك بها الفلسطينيون بعد سنوات من المقاومة السلمية الشعبية التي لم تصب في مصلحة الفلسطينيين ولم تكن لتسكن جراح شعب فلسطين.

في أوائل عام 1936م عمل عبد القادر الحسيني على تأسيس تنظيم ثوري مسلح (أبو غربية، 1933)، المسمى بتنظيم الجهاد المقدس الذي تولى أعمال الجهاد في فلسطين حتى عام 1948م (جرار، بلا)، وعلى الرغم من أن التنظيم مسلح إلا أنه جمع إلى جانب مقاومته المسلحة المقاومةَ السلميةَ من اجتماعات ومؤتمرات وجلسات للمثقفين للمطالبة بالعدالة ورفع الظلم عن الفلسطينيين (قمصية، 2011).

6.3. الثورة الكبرى 1936م

لقد فشلت كل المحاولات السلمية في إقناع حكومة الانتداب البريطاني من تغير سياستها واحترام رأي الفلسطينيين في حقهم في بلادهم، ومنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والاستيلاء على الأراضي، فيئس الفلسطينيون من مماطلة سلطة الانتداب (المنير، 1997)، وبدأوا في التجهيز للمقاومة العنيفة والمسلحة ضد بريطانيا والصهيونية وبدأ رفاق القسام بإعادة تنظيم صفوفهم بعد استشهاد قائدهم والاستعداد للثورة الأقوى في تاريخ فلسطين (أبو غربية، 1933).

15 إبريل 1935م كانت الشرارة الأولى للثورة إثر اشتباك وحدة المجاهدين التابعة لأحد رفاق القسام فرحان السعدي مع جماعة من الصهاينة وقتله ثلاثة منهم، وفي اليوم التالي قتل اليهود فلسطينيين، وحدثت اشتباكات بين العرب واليهود (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، وازداد الأمر سوءاً باعتداء اليهود على العمال الفلسطينيين الذين يعملون في مخازن اليهود، وإتلافهم بضاعتهم ومركباتهم، ومحاولتهم الهجوم على الفلسطينيين أثناء تشيع جنازة الشهداء (دروزة، 1993). فكانت ردة الفعل الفلسطينية إزاء ما حدث إلى قتال بين العرب واليهود في يافا واستشهاد 6 فلسطينيين وقتل 12 يهودياً، وعمت الاضطرابات في القدس وحيفا والخليل (أبو بصير، 1968).

في 25 إبريل 1936م عقد اجتماع ضم كل الأحزاب العربية وشكلت لجنة عرفت باسم اللجنة العربية العليا برئاسة أمين الحسيني (أبو غربية، 1933)، تعمل على تنظيم أمور اللجان القومية وتنظيم الإضرابات (دروزة، 1993)، فيما أعلن الحسيني الإضراب العام والشامل في كل أنحاء فلسطين (المنير، 1997).

وهناك تنظيمات شاركت من بداية الثورة، وهي: تنظيم الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وتنظيم القسام بقيادة خليل عيسى، وتنظيم بقيادة فوزي القاوقجي (جرار، بلا)، وعن عدد القوات المشاركة في الثورة فإنه يصعب تقدير أعداد الذين شاركوا بسبب تزايد وتناقص المشاركين طبقاً لظروف الثورة وتوفر السلاح (غنيم، 1980)، إلا أنه يمكن تقريب عدد المشاركين في الثورة من خمسة آلاف إلى ثمانمائة ألف ثائر فلسطيني (قمصية، 2011).

وعم الإضراب كل أنحاء فلسطين، وهو الإضراب الأطول الذي استمر حتى أكتوبر أي حوالي 170 يوماً، فأضرب العاملون في التجارة والصناعة والنقل البري والبحري، وتحولت المظاهرات من مقاومة سلمية إلى مقاومة عنيفة مسلحة من تقطيع أسلاك ونسف جسور (دروزة، 1993)، التي كانت بالنسبة للثوار من أوليات مقاومتهم لقطع الطريق على وصول الإمداد للجيش البريطاني (السفري، 1937).

وحدثت في يافا مظاهرات وتراشق بالحجارة واستمرت الاشتباكات بين العرب واليهود وكانت حصيلة ذلك 9 قتلى وأكثر من 30 إصابة أكثرهم من اليهود، وهاجم الثوار في طولكرم سيارات يهودية وحطموها وجرحوا من فيها، وتواصلت الإضرابات والمظاهرات في القدس وعكا ونابلس والخليل والرملة وجميع مدن فلسطين (دروزة، 1993)، وأعلنت اللجنة العربية العليا وبموافقة جميع الأحزاب على ضرورة مقاومة السياسة البريطانية مقاومة عملية، وأعلنت استمرار الإضراب ودعت للمقاومة والجهاد حتى تجاب مطالب الفلسطينيين (أبو بصير، 1968).

وفي 8 مايو 1936م دعت اللجنة العربية العليا إلى مؤتمر اللجان القومية في القدس (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، وقرر الاستمرار في الإضراب وإعلان العصيان المدني (زعيتر، 1955)، ورفض دفع الضرائب إذا لم تستجيب حكومة بريطانيا لمطالب الفلسطينيين وأولها وقف هجرة اليهود إلى فلسطين (توما، بلا)، وحارب سكان المدن الفلسطينية قوات الجيش والشرطة البريطانية، وعمت التظاهرات المدن الفلسطينية (المنير، 1997)، وكان للشعراء أيضاً دور بارز في الدعوة إلى الثورة، حيث أن قصائدهم كان يرددها الثوار والجماهير الفلسطينية أثناء ثورتهم وهم في مواجهة القوات البريطانية الظالمة، ومن هؤلاء الشعراء إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود (توما، بلا).

وتابع الفلسطينيون جهادهم فقطعوا المواصلات بين يافا وتل أبيب وأشعلوا الحرائق في أنحاء مختلفة من فلسطين، وازدادوا تمسكاً بالإضراب والكفاح، وفي يافا وحيفا دمروا سيارات يهودية وأحرقوا مصانع ومدارس يهودية واستمرت الاضطرابات الدموية، واضطر اليهود إلى المكوث في البيوت لعدم تمكنهم من أداء أعمالهم، وحطموا أنابيب المياه في القدس، وقطعوا أسلاك التليفونات، وانتشر الجنود البريطانيين على أبواب بيوت وزراء الحكومة والمندوب السامي خوفاً من مهاجمتها، وأُعلن أن الإضرابات والاضطرابات تحولت إلى ثورة مسلحة، فهاجم الشبان معسكر للقوات البريطانية استولوا فيه على السلاح والذخيرة، وهاجموا مستعمرة ملبس اليهودية وأحرقوا مخازن البرتقال واستمر إطلاق الرصاص والانفجارات ليلة السابع والعشرين في يافا وفي العديد من المدن الفلسطينية، واستمرت المصادمات وحوادث التدمير في كل مكان (أبو بصير، 1968).

وفي 22 يونيو 1936م وقعت معركة نور شمس التي تعتبر أول معركة يواجهها الثوار أمام عتاد عسكري كبير من الدبابات والطائرات (صالح، 1996)، وأعلنت بريطانيا حينها عن نشوب أعظم معركة بين الجيش البريطاني والثوار الفلسطينيون،

واستطاع الثوار مهاجمة المستعمرات اليهودية وحاميات القطارات والقوافل اليهودية وإشعال الحرائق في المستعمرات والمزارع اليهودية (أبو بصير، 1968)، وأعلن عن مقتل ثلاثة من الثوار وخمسين جندياً بريطانياً (صالح، 1996).

بدأت بريطانيا تتجهز بقوات كبيرة لمواجهة الثورة العربية التي طال الصراع من أجل إيقافها، وعلم الثوار بتجهيزات الحكومة البريطانية فزرعوا الألغام في طريق السيارات وعند نزول الجنود البريطانيين أطلق عليهم النيران وحدثت معركة كبرى سميت بمعركة بلعا، واستمرت المعركة يوم كامل فيما استطاع الثوار إسقاط وإحراق طائرات بريطانية بمن فيها، وفي معركة ترشيحا استولى الثوار على أسلحة ورشاشات وعشرة ألاف رصاصة، وفي جنين وقعت معركة جبع وكاد الثوار يهزمون إلا أن إخوانهم في الجبال أسرعوا لنجدتهم واستطاعوا إسقاط طائرة وجرح قائدها وتفجير مصفحة مرت فوق لغم قاموا بزراعته، ولم تمض نصف ساعة على انتهاء المعركة حتى هاجم الثوار جميع مراكز الشرطة في نابلس وتحولت مدينة نابلس إلى ساحة قتال وظلت المعارك تتوالى والثوار يتصدون للقوات البريطانية بشدة مثل معركة بيت جبرين ومعركة مريرة ومعركة الخضر (أبو بصير، 1986).

في 11 أكتوبر 1936م دعت اللجنة العربية العليا وبإجماع اللجان القومية الشعب الفلسطيني إلى الهدوء ووضع حد للإضراب والاضطرابات (الكيالي، 1985)، وتوقف الإضراب والثورة بطلب من اللجنة العليا في تلبية لنداء ملوك الدول العربية (زعيتر، 1955)، وإن الذي حمل اللجنة العربية على وقف الإضراب هو وصول قوات بريطانية كبيرة جديدة، وانتشار البطالة بسبب الثورة، واقتراب موسم الحمضيات الذي يمس بمصالح بعض من الوجهاء السياسيين (الكيالي، 1985).

ولعل أهم ما يميز هذه المرحلة من الثورة أنها ثورة شعبية، شاركت فيها كل فئات الشعب الفلسطيني وكل القوى الاجتماعية في فلسطين، فكان الفلاح يقاتل السلطات البريطانية، وكانت الفئات المثقفة تنظم الاجتماعات والإضرابات والمقاطعات، ويشجعون القيادات السياسية ويرفعون من معنوياتهم ويحثونهم على عدم التراجع في اتخاذ القرارات التي تصب في مصلحة الشعب، ويمكن القول بأن أكثر الفئات مساهمة في الثورة هما فئة الفلاحين والمثقفين، حتى أن اللجنة العربية العليا لم تكن لتتخذ أي قرار دون الرجوع إليهم وأخذ أراءهم (غنيم، 1980)، وكان الشعب في هذه المرحلة متماسك مترابط موحد من أجل نيل حريتهم وكراماتهم (ياغي، 1983).

وعلى رغم من صبر وثبات ومقاومة الثوار وعظم هذه المرحلة إلا أنني أرى بأن طول فترة الإضراب قد أضر كثيراً بمصالح الفلسطينيين، وقد أنهك قوة الشعب الأعزل الذي لا يملك إلا القليل من المال والسلاح والعتاد في مواجهة جيش كبير مدعم بأفضل وأحدث الأسلحة والمدرعات.

وتجددت الثورة مع نشر تقرير لجنة بيل في 7 يوليو 1937م الداعي إلى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وإعلان الدولة اليهودية في فلسطين (أبو بصير، 1968)، فسارعت اللجنة العربية العليا بإرسال مذكرة شديدة إلى الحكومة البريطانية نددت فيها بقرار التقسيم، ووقف الهجرة ومنع انتقال الأراضي، واندلعت اشتباكات بين الفلسطينيين والقوات البريطانية، وتصاعدت وتيرة الأحداث العنيفة والصراع في فلسطين خلال هذه المرحلة امن الثورة (علوش، 1967).

في 26 سبتمبر 1937م كانت أخر مرحل الثورة وأشدها، فأطلق الثوار النار على لواء الجليل أندروز (جرار، بلا)، فقتل هو وحارسه البريطاني (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، وأعلنت بريطانيا مقتله بالرصاص على يد ثلاثة من العرب المسلحين بالمسدسات وعلى أثر ذلك اعتقل عدد من العلماء والأطباء والمثقفين والقضاة ونكلت السلطة البريطانية بالشعب الفلسطيني بأبشع الصور (أبو بصير، 1968)، وحلت اللجنة العربية العليا واللجان القومية واعتبرتها غير مشروعة (زعيتر، 1955)، وقامت اثنتا عشر معركة هاجم فيها الثوار مراكز الشرطة والجيش وأشعلوا الحرائق، وصحب ذلك اعتقالات للثوار، وإعدام فرحان السعدي، وأعلن رسمياً أن عدد القتلى من رجال السلطة والجنود البريطانيين يقارب مائة قتيل غير أضعافهم من الجرحى (أبو بصير، 1968).

20 أغسطس 1938م أُعلنت الحكومة البريطانية عن مقتل موفات الحاكم العسكري في جنين بمكتبه على يد الثوار (جرار، بلا). وفي9 سبتمبر 1938م هاجم الثوار مدينة بئر السبع واستطاعوا احتلالها، واستولوا على مركز الشرطة ثم انسحبوا منها، ودمروا عمارات ومنشأة للشرطة، وقتلوا وجرحوا العشرات من اليهود (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

في 2 أكتوبر 1938م أضربت القدس احتجاجا على اعتقال الزعماء، وامتد الإضراب إلى أنحاء كبيرة من فلسطين، وبعد يومين طالب أمين الحسيني بوقف الإضراب والعودة إلى الهدوء (الكيالي، 1985). إلا أن الثورة اشتدت مع تعسف السلطات البريطانية ومطاردتهم الفلسطينيين وخاصة الذين يلبسون الكوفية والعقال، فأصدر الثوار أمراً بلزوم الجميع بلباس العقال حتى لا يميز الجنود الثائر من غيره، استمرت الثورة وازدادت قوة الثوار واستطاعوا احتلال الخليل والقدس، وأطلقوا سراح المسجونين العرب واستولوا على مراكز السلطة وسلاحهم، واحتلوا طبريا وقتلوا 120 يهودياً، وقتلوا جندياً برتبة نقيب واستولوا على دور الحكومة وحرقوها واستولوا على كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد العسكري (أبو بصير، 1968)، وأُعلن الإضراب في جميع المدن الفلسطينية (الكيالي، 1985)، وخاض المجاهدون في طولكرم وجنين معارك اشتركت فيها الطائرات البريطانية واستمر الثوار في هجومهم على المستعمرات، في حين أعلنت السلطات البريطانية عن مكافأة مالية لمن يخبر عن الثوار، فلم يتقدم أحد (زعيتر، 1955).

وفي سبتمبر 1938م أشعل الثوار النار في محلات تجارية لليهود في يافا وفي كنيس يهودي بين يافا وتل أبيب، وانقطعت المكالمات التليفونية بين فلسطين والخارج، وفي أكتوبر من نفس العام كان المجاهدون أكثر قوة وصلابة فهاجموا سيارة يهودية وقتلوا من فيها وأحرقوها ونشبت معركة كبيرة في رام الله (أبو بصير، 1968)، إلا أن وصلت الثورة ذروتها في صيف 1938م وبعد أن وافقت السلطات البريطانية على مطالب الثوار بما يخص سداد ديون الأراضي وسماسرتها (الكيالي، 1985).

في مايو 1939م عقدت اللجنة العربية العليا عدة اجتماعات تقرر فيها (علي، 1980)، رفض الكتاب الأبيض، وازداد تصلب الفلسطينيين ضد هذا الكتاب الذي لا يحقق مطالب الشعب، وطالبوا بإعادة تسليح الثوار (الكيالي، 1985)، وأصدرت اللجنة وقادة الثورة بيانات بالرد على الكتاب الأبيض لأنه جعل تحقيق الاستقلال مرتبط باليهود وبنشأة علاقات طيبة بين العرب واليهود لا يمكن أن تحدث (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

وعلى الرغم من تحقيق الثوار هدفهم في القضاء على قرار التقسيم إلا أن فلسطين لا زالت ثائرة والإنجليز ينكلون بها، واستمر الثوار والمجاهدون في عملياتهم الجهادية من قتل للجنود البريطانيين، وإحراق لممتلكاتهم (أبو بصير، 1968)، واستمرت الحركات الثورية إلى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية (أبو بصير، 1968)، إلى أن توقفت الثورة العربية الكبرى في شهر سبتمبر من عام 1939م بعد سنوات طويلة عصيبة دامية (أبو بصير، 1968)، من الظلم والبطش والتدمير والخراب، ولم يكن بمقدور الفلسطينيين الاستمرار في الثورة أكثر من ذلك بسبب؛ إحكام الطوق على المدن والقرى، وضعف جهده أما السنوات الطويلة التي بذلها في الكفاح والنضال، ووصول إمدادات ضخمة لدعم الجيش البريطاني (علي، 1980).

ويرى الباحثان أن فترة الثلاثينات هي مرحلة مهمة جداً في تاريخ الثوار الفلسطينيين، وفيها تحولت المقاومة من الكفاح الشعبي والسياسي إلى الكفاح المسلح والاشتباكات العنيفة وظهور النواة الأولى للجهاد في فلسطين. وجدير بالذكر أن ثورة القسام والثورة الكبرى قد اتخذتا طابعاً إسلامياً في تأجيج المشاعر الوطنية وتفجيرها ضد المشروع الصهيوني.

7. فترة (1940م–1947م)

شهدت فلسطين هذه الفترة ركوداً بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية (الشقيري، 2005)، فحاولت بريطانيا استغلال هدوء الأوضاع في محاولة منها للقضاء على كل أنواع وأشكال المقاومة الفلسطينية، فأدت بذلك إلى تشتت واختفاء الحركات الوطنية واعتقال بعضِها (الشورة، 2009). وفي الأول من مايو من عام 1946م احتجت اللجنة العربية العليا على تقرير لجنة الأنجلو أمريكية وإلغائها قرارات الكتاب الأبيض التي رفضها اليهود وتظاهروا من أجلها، فعُقدت جلسة قررت فيها رفض كل ما جاء في التقرير لما فيه من سلب حقوق الفلسطينيين وتهديد لأمنهم ولوطنهم (علي، 1980).

في 28 يناير 1947م دعت اللجنة العربية العليا الوفد الفلسطيني للمشاركة إلى جانب الوفود العربية في مؤتمر لندن من أجل حل القضية الفلسطينية (زعيتر، 1955). وفي 17 يونيو 1947م أضربت كل فلسطين بعد دعوة الهيئة العربية العليا للإضراب بسبب دخول لجنة تحقيق دولية إلى فلسطين، وقاطعتها لأنها لا تتضمن استقلال فلسطين (زعيتر، 1955).

في 1 سبتمبر 1947م رفضت الهيئة العربية العليا ما قدمته اللجنة الدولية من مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين، وأعلنت العزم على مقاومة تنفيذه، وعمت المظاهرات أنحاء فلسطين تدعو إلى إنقاذ فلسطين (الشقيري، 2005)، وإحباط تقرير اللجنة (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

في نوفمبر عام 1947م صدر قرار التقسيم (أبو بصير، 1968)، وأعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب وانسحاب قواتها العسكرية من فلسطين في 15 مايو عام 1948م تاركة فلسطين لليهود، وقد بدأ أبناء فلسطين يتنادون بجمع السلاح والبحث عنه من أي مكان، واجتاز عبد القادر الحسيني الحدود داخل فلسطين، وأسست فرق الفدائيين والتدمير والقناصة، وأنشئت حاميات للأمن العام والمدن والقرى، في حين قسم اليهود قواتهم وتولت الهاجاناه حراسة المدن والقرى والمستعمرات، وخصص لعصابة الأرغون القيام بأعمال التدمير والنسف والقتل ضد الفلسطينيين (أبو بصير، 1968)، وتألفت لجان قومية في المدن الفلسطينية للإشراف على الحركة الوطنية وشراء السلاح وتسليح الثوار (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

في29نوفمبر 1947م ثارت كل فلسطين وعمتها الاصطدامات والمظاهرات العنيفة، والتي أسفرت عن مئات القتلى والجرحى (زعيتر، 1955)، بعد أن أصدرت بريطانيا قرار التقسيم (ياغي، 1983)، وبهذه الفترة الواقعة بين صدور قرار التقسيم وانتهاء الانتداب البريطاني كانت المقاومة الفلسطينية مقتصرة فقط على ثلاث منظمات وهي: الجهاد المقدس، وجيش الإنقاذ، واللجان القومية الفلسطينية، وقدمت الهيئة العربية العليا لمجاهدي القوات السلاح والعتاد اللازم للدفاع عن فلسطين، إلا أن استعدادهم للقتال لم يكن كما يجب بسبب نقص الأسلحة والذخيرة، ورغم ذلك استطاعوا إنزال ضربات قاسية بالأعداء (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، وفي 2 ديسمبر 1947م رفضت الهيئة العليا قرار التقسيم ودعت الفلسطينيين إلى بدء الإضراب العام من ذلك اليوم (الشورة، 2009).

وفي الثالث من ديسمبر من عام 1947م ونتيجة لاستجابة جامعة الدول العربية لمذكرة بريطانيا بعدم تسليح وتدريب الشباب الفلسطيني، عاد النضال الفلسطيني من جديد باشتباكات في القدس وإشعال حرائق ومصرع عشرة من العرب ومقتل يهودي وجرح آخرين، ومن ثم انتشرت الأحداث في كل أنحاء فلسطين، فيما لم تستطع اللجنة العسكرية العربية تمويل الشعب الفلسطيني بالسلاح الكافي، فيما اجتمعت اللجنة السياسية وألزمت كل من سوريا ومصر والسعودية والعراق ولبنان والأردن بتقديم السلاح للثوار الفلسطينيين، إلا أن جميع السلاح والعتاد الذي وصل فلسطين كان في غالبيته قديماً وغير صالحاً

للاستخدام (أبو بصير، 1968). ويرى الباحثان أن حكام الدول العربية لم يكن ليهمهم أمر فلسطين ولا شعبها المكلوم المظلوم في دعمهم وتزويدهم بالسلاح، ولربما قضية الأسلحة الفاسدة ما هي إلا مؤامرة كبيرة اتفقوا عليها فيما بينهم. في يناير 1948م استطاع جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي تركيز هجماته على خطوط مواصلات العدو ومستعمراتها، ودعم الحاميات الفلسطينية شمال فلسطين (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا).

وفي 22 فبراير 1948م قام عبد القادر الحسيني بأكبر عملية نسف حدثت في القدس في شارع بن يهودا بثلاثة شاحنات محملة بأطنان من المتفجرات كان قد استولى عليها الثوار في يافا من الشرطة، وأدخلت هذه العملية الخوف والرعب في قلوب اليهود، وارتفعت معنويات الفلسطينيين، وعقد الحسيني مؤتمراً دعى فيه كل الصحافيين العرب والأجانب، حذر فيه اليهود من اتخاذ مستشفى هداسا والجامعة العربية قواعد عسكرية للهجوم على الأحياء الفلسطينية، وهدد بتفجيرهما إن استمروا في اتخاذ هذه الأماكن حاميات وقواعد عسكرية لهم، وأثار هذا المؤتمر ضجة كبيرة وكان له أثر كبير في العالم على أن الحسيني لا يستبعد عليه تنفيذ تهديده (أبو غربية، 1933).

1 مارس 1948م وقعت معركة جبل الماصيون بسبب استمرار اليهود في مهاجمتهم لطرق ومواصلات الفلسطينيين، فهاجم الثوار مستعمرة عطروت بكمين واشتبكوا مع اليهود عند جبل الماصيون وقتلوا سبعة عشر يهودياً، وقدموا الجثث للجيش البريطاني (أبو غربية، 1933).

وفي 4 إبريل 1948م وقعت معركة القسطل في القدس التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، فكان قد خرج الحسيني ومعه خمسون مجاهداً وبعد معركة دامية استطاع طرد اليهود منها ومن ثم استشهاده (علي، 1980)، وهناك معركة الدهيشة والتي قُتل فيها مئات اليهود وأسر المئات أيضاً، واستولى الثوار على عدد كبير من السيارات والأسلحة والذخائر، وبلغت المقاومة قوتها في ذلك الوقت (زعيتر، 1955).

9 إبريل 1948م استغل الصهاينة حزن الفلسطينيين وانشغالهم في تشيع جثمان قائدهم عبد القادر الحسيني، فانتهزوا الفرصة وقاموا بالهجوم على قرية دير ياسين في القدس، وارتكبوا أبشع مجزرة في التاريخ، ولم تكن القوات البريطانية المسؤولة عن الأمن للتقدم لإنقاذ السكان من ظلم العصابات الصهيونية، ورد المجاهدون الفلسطينيون على هذه المجزرة بقتل 77 يهودياً بهجومهم على قافلة في جبل سكوبس كانوا ينقلون الذخائر والمؤن على أنها مواد طبية، ولم تكن القوات والسلطات البريطانية لتنسحب من فلسطين إلا وقد أمنت وصول الإمدادات إلى اليهود، ومنعت وصولها إلى الثوار الفلسطينيين، وسلمت كل المدن الفلسطينية للقوات الصهيونية (علي، 1980).

وفي منتصف 14 مايو 1948م انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بلا)، وأعلنت بريطانيا قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين (ياغي، 1983)، بعد سنوات طويلة من الصراعات والصدامات والثورات الدامية بين السلطات البريطانية والصهيونية والثوار الفلسطينيين من أجل الدفاع عن وطنهم والحفاظ عليه ونيل حريتهم وكرامتهم.

8. النتائج والتوصيات

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

مرحلة العشرينات هي مرحلة المقاومة السلمية والكفاح الشعبي والنضال السياسي ضد وعد بلفور قيام الدولة اليهودية في فلسطين، وقد كانت شرارة الثورات والتظاهرات والصدامات في هذه الفترة تدور حول المقدسات الإسلامية في فلسطين.

ثورة القسام هي الشرارة الأولى، والحافز الأول للثورة العربية الفلسطينية الكبرى من عام 1936 إلى 1939م، وبداية المقاومة العلنية المسلحة التي تمسك بها الفلسطينيون بعد سنوات من المقاومة السلمية الشعبية التي لم تصب في مصلحة الفلسطينيين ولم تكن لتسكن جراح شعب فلسطين.

من التنظيمات التي شاركت منذ بداية الثورة، هي: تنظيم الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وتنظيم القسام بقيادة خليل عيسى، وتنظيم بقيادة فوزي القاوقجي، وعن عدد القوات المشاركة في الثورة فإنه يصعب تقدير أعداد الذين شاركوا بسبب تزايد وتناقص المشاركين طبقاً لظروف الثورة وتوفر السلاح، إلا أنه يمكن تقريب عدد المشاركين في الثورة من خمسة ألاف إلى ثمانمائة ألف ثائر فلسطيني.

ولعل أهم ما يميز مرحلة الثورة الكبرى أنها ثورة شعبية، شاركت فيها كل فئات الشعب الفلسطيني وكل القوى الاجتماعية في فلسطين، فكان الفلاح يقاتل السلطات البريطانية، وكانت الفئات المثقفة تنظم الاجتماعات والإضرابات والمقاطعات، ويشجعون القيادات السياسية ويرفعون من معنوياتهم ويحثونهم على عدم التراجع في اتخاذ القرارات التي تصب في مصلحة الشعب، ويمكن القول بأن أكثر الفئات مساهمة في الثورة هما فئة الفلاحين والمثقفين، حتى أن اللجنة العربية العليا لم تكن لتتخذ أي قرار دون الرجوع إليهم وأخذ أراءهم، وكان الشعب في هذه المرحلة متماسكاً مترابطاً موحداً من أجل نيل حريتهم وكراماتهم.

إن حكام الدول العربية لم يكن ليهمهم أمر فلسطين ولا شعبها المكلوم المظلوم في دعمهم وتزويدهم بالسلاح، ولربما قضية الأسلحة الفاسدة ما هي إلا مؤامرة كبيرة اتفقوا عليها فيما بينهم.

التوصيات

توصي هذه الدراسة بإجراء بحوث حول المواضيع التالية:

- تاريخ امتدادات المقاومة بعد عام 1948م وحتى ظهور المقاومة المنظمة والمسلحة بعد الإنتفاضة الأولى عام 1987م وظهرت على الساحة فصائل مقاومة بأسماء جديدة وعلى رأسها المقاومة الإسلامية حماس.
- أثر التوازنات التي ظهرت بعد المقاومة المنظمة والمسلحة بعد الإنتفاضة الأولى عام 1987م وحتى الآن.
- مواقف الدول العربية والإسلامية والعالمية بعد ظهور المقاومة المسلحة والرادعة في القرن الحادي والعشرين.

المصادر والمراجع

أبو بصير، صالح مسعود (1968) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط1.

توما، إميل (د، ت) القضية الفلسطينية، *إصدار المكتبة الشعبية بالناصرة*، وطبعته مطبعة الإتحاد التعاونية بحيفا.

جرار، حسني أدهم (د، ت) شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني 1920م-1929م، *دار الفرقان للطباعة والنشر*، عمان، الأردن.

جمعة، حسين (2009) ملامح في الأدب المقاوم، فلسطين أنموذجاً، *الهيئة العامة السورية للكتاب*، وزارة الثقافة، دمشق.

حمودة، سميح (1986) الوعي والثورة، دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1828م – 1935م، ط2، *دار الشروق للنشر والتوزيع*.

خلف، عبد الهادي (1988) المقاومة المدنية، ط1، *مؤسسة الأبحاث العربية*، بيروت.

دروزة، محمد عزة (1993) مذكرات محمد عزة دروزة، سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1887م-1984م، 6 مجلدات، *دار الغرب الإسلامي*، بيروت-لبنان.

دواس، رفيق فهمي (2014) خلافات الأحزاب الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني 1920م-1936م، *مجلة جامعة الأقصى*، ع1.

زعيتر، أكرم (1955) القضية الفلسطينية، *دار المعارف*، مصر.

سعيد، أمين (د، ت) الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، المجلد الأول، النضال بين العرب والترك، *نشرته مكتبة مدبولي*، القاهرة.

السفري، عيسى (1937) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ط1، *نشرته مكتبة فلسطين الجديدة*، يافا.

شبيب، سميح (1980) حزب الاستقلال العربي في فلسطين 1932م-1933م، ط1، *مركز الأبحاث*، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت.

الشقيري، أحمد (1969) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، تحرير: عبد العزيز السيد أحمد، *دار النهار*، بيروت.

شلهوب، فرج (د، ت) المقاومة الفلسطينية مراحل التطور، وأفاق المستقبل، *صحيفة السبيل*.

الشورة، صالح علي (2009) مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطاني 1917م-1948م، ط1، *دار كنوز المعرفة*، عمان.

صالح، محسن محمد (1996) القوات العسكرية والشرطة في فلسطين ودورها في تنفيذ السياسة البريطانية 1917م-1939م، ط1، *دار النفائس للنشر والتوزيع*، عمان – الأردن.

صالح، محسن محمد (2003) فلسطين سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، *مركز الإعلام العربي*، القاهرة.

عبد الغني، عبد الرحمن (1995) ألمانيا النازية وفلسطين 1933م-1945م، ط1، *مؤسسة الدراسات الفلسطينية*، بيروت.

علوش، ناجي (1967) المقاومة العربية في فلسطين 1917م-1948م، *مركز الأبحاث*، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان.
علي، فلاح خالد (1980) فلسطين والانتداب البريطاني 1939م-1948م، ط1، *المؤسسة العربية للدراسات والنشر*، بيروت.
عودة، أحمد فارس (1987) المقاومة السلمية تاريخ وأفاق، *معهد الدراسات الإقليمية*، جامعة القدس.
أبو غربية، بهجت (1933) في خضم النضال العربي الفلسطيني، جزأن، *مؤسسة الدراسات الفلسطينية*.
الغوري، إميل (1972) فلسطين عبر ستين عام، *دار النهار للنشر*، بيروت.
غنيم، عادل حسن (1980) الحركة الوطنية الفلسطينية من 1936م حتى الحرب العالمية الثانية، *مكتبة الخانجي*، مصر.
قمصية، مازن (2011) المقاومة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز، *المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية*، رام الله –فلسطين.
الكيالي، عبد الوهاب (1985) تاريخ فلسطين الحديث، ط9، *المؤسسة العربية للدراسات والنشر*، بيروت.
المنير، أسبير (1997) اللد في عهد الانتداب البريطاني، *مؤسسة الدراسات الفلسطينية*، بيروت.
موسى، سلامة (2012) الثورات، *مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر*. مؤسسة الدراسات الفلسطينية (1983) فلسطين تاريخها وقضيتها، *المكتبة الجامعية*: نابلس.
ياسين، صبحي (د، ت) الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936م-1939م، *دار الهنا للطباعة*.
ياغي، إسماعيل أحمد (1983) الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، ط1، *دار المريخ للنشر*، الرياض.